جهود المحدّثين في وضع منهج علمي
للتصدّي للروايات الواهية

عبد القادر سليماني(١)

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا شكّ أن السنة النبوية هي الترجمة العملية لكتاب الله والتطبيق المعصوم لأحكامه، إلى جانب ما فيه من البيان الواضح والمنهاج القويم والأمان من الزيغ والضلال، وقد تفاوت الناس في حفظها وروايتها بين مكثر ومقلّ، وضابط ومقلّ، ومع تقدّم الزمن اتسعت الرواية وتشعّبت حتى فاقت الحصر، وتعرّضت لفتنة عمياء وعاصفة هوجاء، ولكن الله تعالى لم يكن ليذر حديث رسول الله ρ ، وهو المبيّن لكتابه، فريسة للأكاذيب والأوهام، فحفظ سنة نبيّه المصطفى ρ وصانها، حيث نشأت إلى جانب الرواية **عملية النقد والتفتيش والتمحيص،** فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن ابن سيرين قال:" **كان في الزمن الأول الناس لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة، فلما وقعت الفتنة سألوا عن الإسناد، ليحدّث حديث أهل السنة ويترك حديث أهل البدعة**"(٢)، وقد قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة، قال:" **يعيش لها الجهابذة** "(٣).

ولأول مرة في تاريخ البشرية تحصى الكلمات والعبارات والأفعال والإشارات، وأسماء الصغار والكبار، ومن حلّ ومن ارتحل، حتى أصبح لكل راو من الرواة سجلّ تفصيلي يحدد

مكانه بين أعلى مراتب الضبط والعدالة وأعلى مراتب الوهم والكذب.

فكان **بيان أحوال الرواة،** أو ما يسمى **بنقد الرواة،** هو السبيل لتمييز الأخبار الصحيحة من الأخبار الضعيفة والواهية .

والنقد في أحاديث رسول الله ρ بدأ في عصر الصحابة ψ ، قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق τ :" **كان أول من احتاط في قبول الأخبار**" (٤)، واتسعت دائرته في عصري التابعين وأتباعهم، واستمر حتى أواخر القرن الثالث هجري حيث باتت الرواية دراسة للكتب لا نقلا بالمشافهة والسماع .

---

(١) الأستاذ الدكتور في الحديث وعلومه بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران بالجزائر .

(٢) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أبو عبد الله السورقي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة (١٢٣/١).

(٣) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه (٣٧/١) .

(٤) شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، (٢/١)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٥هـ .

ولا شكّ أن **جهود المحدِّثين** قد أثمرت في وضع منهج علمي، بقواعده وضوابطه، لصيانة السنة النبوية من الدخل والتحريف والتصدّي للروايات الضعيفة والواهية.

فما هو المنهج الذي سار عليه المحدِّثون في بيان أحوال الرواة ونقلة الأخبار؟ وما هي ضوابطه ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وضعت خطة علمية تتشكل من ثلاثة مطالب، وخاتمة:

المطلب الأول: مفهوم الرواية الواهية وأثرها على الأمة الإسلامية .

المطلب الثاني: نشأة النقد الحديثي في التثبت من الرواية، وتطوره في القرون الثلاثة الأولى.

المطلب الثالث: ضوابط المنهج العلمي في التصدي للروايات الواهية.

الخاتمة: وتتضمّن جملة من النتائج والتوصيات.

المطلب الأول : مفهوم الرواية الواهية وأثرها على الأمة الإسلامية:

١- **مفهوم الرواية الواهية:**

الرواية الواهية هي الرواية المطروحة والمتروكة في ميزان مصطلح الحديث، وتتمثّل في الأحاديث الضعيفة المتروكة والموضوعة .

وقد عرف الحديث الضعيف (٥) بأنه: هو ما فقد شرطا من شروط الحديث المقبول، وهي ستة :

- العدالة: أي الصدق والتقوى والالتزام الظاهر بأحكام الاسلام .
- الضبط: وهو الدقة في الحفظ والإتقان ثم الاستحضار عند الأداء .
- الاتصال: أي كل واحد من الرواة قد تلقاه من رواة الحديث حتى النهاية دون إرسال أو انقطاع.
- عدم الشذوذ: وهو مخالفة الراوي الثقة لمن هو أوثق منه .
- عدم وجود العلة القادحة: أي سلامة الحديث من وصف خفي قادح في صحة الحديث والظاهر السلامة منه .
- العاضدُ عند الاحتياج إليه .

فالحديث المردود: هو الحديث الذي فقد شرطا واحدا أو أكثر من شروط الحديث المقبول، كعدم اتصال السند، أو وجود علة قادحة في راو من رواته، إن على مستوى الضبط أو على مستوى العدالة.

ويتفاوت ضعف الحديث بحسب شدة ضعف رواته وخفته، ومنه ما ينجبر ضعفه، بالمتابعات أو الشواهد، ومنه ما لا ينجبر، فكل ما كان ضعفه ناتجا عن قدح في العدالة، كالكذب على رسول الله ρ ، أو التهمة به، والكذب في أحاديث الناس، والفسق، والابتداع بكفر ونحوه ...لا يؤثر فيه كثرة الطرق، ولا يرتقي عن درجة الضعف، لشدة سوء أسباب هذا الضعف .

فإذا كان هذا الكلام عن الحديث الضعيف، فبالأولى يكون عن الحديث الموضوع، وهو الكلام المنسوب إلى رسول الله ρ اختلاقا وكذبا، مما لم يقله أو يفعله أو يقره، فكلا الأمران الحديث الضعيف المتروك، والحديث الموضوع، يمثلان الرواية الواهية في ميزان مصطلح الحديث.

٢- **خطر الرواية الواهية على الأمة الإسلامية :**

ولا شك أن انتشار الأخبار الواهية في المجتمعات الإسلامية يؤدي بالفعل إلى الاضطراب الواسع في حياة الناس، وذلك في مختلف المجالات، كالعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق وما إلى ذلك... وقد نبّه النبي ρ على خطورة الخروج عن الجادة في نقل الأخبار، فقد جاء في الصحيحين من عدة طرق عن النبي ρ أنه قال: " من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار" (٦) ، وفي رواية:" إن كذبا علي ليس ككذب على أحد فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" (٧) ، وفي رواية: "يكون في آخر

---

(٥) ابن الصلاح ، معرفة أنواع علوم الحديث، (ص: ١١١)، تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

(٦) متفق عليه، البخاري (ح:١٠٧، ١/٥٢)، ومسلم (ح:٢، ١/١٠).

(٧) متفق عليه، البخاري (ح:١٢٢٩، ١/٤٣٤)، ومسلم (ح:٣، ١/١٠).

الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم " [٨] .

هذه النصوص النبوية الشريفة وغيرها فيها دلالة واضحة على أنه سيكذب على النبي ρ ، وأن الكذب على رسول الله ρ لا يماثل الكذب على بقية الناس، لأنه مفسدة كبيرة تصيِّر ما ليس شرعا شرعا، وهو اعتداء على الأمة الإسلامية قاطبة، لهذا توعّد النبي ρ فاعله بالنار، سواء كانت غاية الكذب إفساد الدين، كما أراد الزنادقة، أو الترغيب فيه كما هو الحال عند بعض الجهّال الذين أباحوا الوضع في الترغيب والترهيب .

ولم يفرق أهل العلم في تحريم الكذب على النبي ρ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه، كأحاديث الفضائل وغير ذلك، فكله حرام من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح، بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الاجماع .

ومن هنا ينبغي على الواعظين، وعلى الكُتَّاب في أعمدة الصحافة أو الدوريات والمجلات، وكذا على مُصدِّري الأشرطة المشتملة على المواعظ والإرشادات، والمتحدثين في الأجهزة الإعلامية، أن يتجنبوا الاستشهاد بالروايات الضعيفة المنكرة والواهية، وتبصير الناس بما صحّ عن رسول الله ρ من السنن والأحكام والفضائل، فيما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

والفهم الفهم في عاقبة الروايات الضعيفة والواهية، ومرارة ما يترتب على ذلك على أجيال هذه الأمة التي اختارها الله عز وجل لتكون رائدة الأمم في كل زمان ومكان.

فلولا قيام جماعة من الأئمة في كل طبقة، ببيان أحوال الرواة، والذب عن السنة النبوية المطهرة لاختلط المعروف بالمنكر، ولم يتبين ما هو صحيح ثابت مما هو ضعيف ساقط، لبقيت تلك الأحاديث الواهية من جملة الشريعة، وعمّت بها البلوى؛ إلا أن الله Y ، من لطفه ورحمته بعباده، قيّض من يحفظ سنة نبيّه ρ ، فكان قيام الأئمة في كل طبقة بهذه المهمة الجليلة في صيانة السنة النبوية، وهي من أفضل القربات وأعظم الواجبات في الدين.

المطلب الثاني: نشأة النقد الحديثي في التثبت من الرواية، وتطوره في القرون الثلاثة الأولى:

وممّا سبق ذكره يتبيّن أن حماية السنة النبوية كانت بالنقد في الحديث سندا ومتنا، لتمييز الصحيح من الضعيف، قال ابن أبي حاتم الرازي:" فإن قيل بماذا عرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة الذين خصهم الله Y بهذه الفضيلة ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان " [٩] .

ولا شك أن النقد في حديث رسول الله ρ قد بدأ في عصر الصحابة رضي الله عنهم، واتسعت دائرته في عصري التابعين وأتباعهم، واستمر حتى أواخر القرن الثالث هجري، ذلك أن الرواية باتت دراسة للكتب لا نقلا بالمشافهة والسماع .

١- النقد في عصر الصحابة :

---

(٨) أخرجه مسلم (ح:٧، ١/١٢).

(٩) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، (٢/١)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ١٩٥٢م.

إن الصحابة ψ لم يكونوا يكذبون ولم يُكَذِّب بعضهم بعضا، إنما كان النقد في عهدهم لمزيد من الاطمئنان القلبي لا غير، فهم عدول بتعديل الله تعالى لهم، قال الخطيب البغدادي:" إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختباره لهم في نص القرآن" (١٠) ، والآيات في هذا الباب كثيرة، منها قوله تعالى:**(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً)** [الفتح ١٨]، وقوله تعالى:**(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** [التوبة ١٠٠].

وفي السنة النبوية أخبار كثيرة تدل على هذا المعنى، منها ما رواه أبو سعيد الخدري τ قال: قال النبي ρ :" لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه " (١١) .

فالصحابة ψ كله عدول بالنص، إلا أن النقد في عهدهم كان موجودا لأن الضبط والحفظ لا مدخل لهما في العدالة، فقد حفظ منهم من حفظ، ونسي من نسي، وكان بعضهم أحفظ من بعض، روى ابن أبي ليلى قال: لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله ρ ، قال: "كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله شديد" (١٢) .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق τ :" كان أول من احتاط في قبول الأخبار" (١٣) ، واستشهد بما رواه قبيصة بن ذؤيب أنه قال: "جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله ρ شيئا فارجعي حتى اسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله ρ أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر الصديق..." (١٤) .

وقال في ترجمة عمر بن الخطاب τ :" هو الذي سنّ للمحدِّثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في الخبر الواحد إذا ارتاب" (١٥) ، واستشهد بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال :"كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال ثم استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله ρ إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبي ρ فقال أبي بن

---

(١٠) المصدر نفسه، (٤٦/١) .

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٣٤٧٠، ١٣٤٣/٣) .

(١٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية، (١٧١/١) .

(١٣) شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، (٢/١)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

(١٤) أخرجه مالك في الموطأ (ح:١٠٧٦، ٥١٣/٢) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر وأخرجه الترمذي برقم ٢١٠١ وقال حسن صحيح .

(١٥) شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ، (٦/١) .

كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ρ قال ذلك"، وفي رواية قال عمر لأبي موسى: " أما إني لم اتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ρ " [١٦] .

وهكذا نجد أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شدّدا في الرواية لأن يعلم الناس أن الحديث عن رسول الله ρ شديد، فلا يأتي من بعدهم من يتجرأ فيكذب فيه أو يتقول على النبي ρ ما لم يقل، وهذان أي أبو بكر وعمر، هما أول من فتشا عن الرجال في الرواية، وبعثا على النقل في الأخبار، ثم تبعهم الناس على ذلك.

٢- النقد في عصر التابعين :

ثم أخذ مسلك الصحابة رضي الله عنهم التابعون، فاستنوا بسنتهم واهتدوا بهديهم، وقد اتسعت دائرة النقد في هذا العصر، وامتاز بالتشدد في قبول الروايات نتيجة الفتن والهرج حيث ظهر الكذب في أحاديث رسول الله ρ ، فأصبح البحث عن العدالة إلى جانب الضبط، واهتم الأئمة النقاد بالإسناد وبيان أحوال الرواة، فقد روي عن ابن المبارك أنه قال: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" [١٧] ، وقد روي عن ابن سيرين أنه قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[١٨]، ومن هؤلاء التابعين الذين امتازوا بالتيقظ في الروايات: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم ابن عبد الله بن عمر، وعلي بن الحسين بن علي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن يزيد بن ثابت، وعروة بن الزبير بن العوام، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار ψ .

فدرج هؤلاء وغيرهم في البحث والتنقيب والتدقيق في الروايات على نهج سابقيهم من الصحابة الأخيار.

٣- النقد في عصر أتباع التابعين:

اتسعت ظاهرة النقد في هذا العصر أكثر فأكثر، فاجتهد أتباع التابعين، وازدادت مهمتهم في التنقير عن الرجال والتفتيش عن الضعفاء، وجعلوها صناعة لم يتعدوها إلى غيرها، مع لزوم الدين والورع الشديد، ومن هؤلاء الأئمة مالك بن أنس، والسفيانان، وشعبة ابن الحجاج، والأوزاعي، والحمّادان، والليث بن سعد، قال ابن مهدي:" أئمة الناس في زماننا أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة "[١٩].

---

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٥٨٩١، ٢٣٠٥/٥) .

(١٧) مقدمة صحيح مسلم (١٥/١) .

(١٨) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أبو عبد الله السورقي، المكتبة العلمي، المدينة المنورة، ١٢٣/١.

(١٩) ابن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل (١١/١) .

ثم تحمّل عن هؤلاء مسلك انتقاد الأخبار ورواة الآثار جماعة: منهم ابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وابن مهدي، ومحمد بن إدريس الشافعي، وغيرهم من أقرانهم...

... ثم جاء بعدهم أئمة يقتدى بهم في الآثار منهم: أحمد بن حنبل، وابن معين، وابن المديني، وابن أبي شيبة، وغيرهم من أقرانهم ...

... ثم أخذ عن هؤلاء جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي، والدارمي، وأبو زرعة الرازي، والإمامان البخاري ومسلم، وأبو داود السجستاني وذلك في جماعة من أقرانهم [٢٠] .

فهؤلاء الأئمة قد أمعنوا في الحفظ وواظبوا على السنة والمذاكرة والدارسة والتصنيف، واجتهدوا في حفظ سنن رسول الله ρ ، ولولاهم لدرست الآثار، واضمحلت الأخبار، وعلا أهل الهوى والضلال، فرضي الله تعالى عنهم جميعا وجعلهم في عليين ، آمين.

المطلب الثالث : ضوابط المنهج العلمي في التصدي للروايات الواهية:

أولاً: تحديد شروط الراوي:

لما كانت غاية النقاد هي معرفة الصحيح من السقيم، كان كلامهم في الرواية ونقلة الأخبار وسيلة لا غاية، لهذا التزموا الاعتدال في التجريح والتعديل، فلم يتناولوا في بيان أحوالهم سوى الجانب الحديثي الذي يهمهم، فتناولوا بالبحث المسائل المتعلقة بالعدالة والمسائل المتعلقة بالضبط؛ ويتضح كلامنا هذا بصفة جيدة إذا رجعنا إلى أقوال ومنهج المتقدمين في هذا الباب حيث نرى تطبيقهم لهذه الشروط تطبيقا دقيقا، وإن لم ينصوا عليها كما نص عليها المتأخرون، فالمتقدمون أغنتهم الدربة والممارسة عن وضع وتحديد المصطلحات، بخلاف المتأخرين الذين تميزوا بالدقة في الاصطلاح، وذلك لأنهم اطلعوا على الكثير من آراء الأوائل الحديثية، فرجحوا بينها واختاروا أحدها .

١- وهذه بعض أقوال المتقدمين من أئمة الحديث في صفة من تقبل روايته ومن ترد:

- قول الإمام مالك بن أنس:

وذلك فيما رواه ابن أبي حاتم الرازي بسنده قال: كان مالك يقول: " لا يؤخذ العلم من أربعة: رجل معلن بالسفه وإن كان أروى الناس، ورجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ρ ، وصاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، وشيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به"[٢١] .

- قول الإمام شعبة بن الحجاج :

وذلك فيما رواه ابن أبي حاتم الرازي بسنده أن ابن مهدي قال: قيل لشعبة متى يترك حديث الرجل؟ قال: إذا حدث عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون وإذا أكثر الغلط، وإذا اتهم بالكذب، وإذا

---

(٢٠) ابن حبان البستي ، كتاب المجروحين، (٥٢/١-٥٧)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب

(٢١) ابن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل، (٣٢/٢) .

روى حديثا غلطا مجتمعا عليه فلم يتهم نفسه فيتركه طرح حديثه، وما كان غير ذلك فارووا عنه " [٢٢]
.

– قول عبد الله بن الزبير الحميدي :

وذلك فيما رواه ابن أبي حاتم بسنده عنه قال: " فإن قال قائل: فما الشيء الذي إذا ظهر لك في الحديث أو من حدّث عنه لم يكن مقبولا ؟ قلنا: أن يكون في إسناده رجل غير رضا، بأمر يصح ذلك عليه، بكذب أو جرحة في نفسه ترد بمثلها الشهادة أو غلطا فاحشا لا يشبه مثله وما أشبه ذلك..." [٢٣] .

وعند النظر في هذه الأقوال يتبين أنها تحمل في مضامينها أصول شروط الراوي التي نص عليها المتأخرون، ذلك أن كثرة الغلط تنافي الضبط، والاتهام بالكذب ينافي العدالة، وأما الإسلام والعقل فهما أمران بديهيان، لم يلتزم أحد منهم ذكر لفظهما، لأنه لا يتصور العدالة من غير إسلام، كما لا يتصور الضبط من غير عقل وتمييز.

٢– دقة الاصطلاح عند المتأخرين في تحديدهم لشروط الراوي:

إن المتأخرين من أئمة الحديث بنوا اجتهاداتهم وآرائهم في شروط الراوي على ما ذكره المتقدّمون، وحدَّدوها مجتمعة في العدالة والضبط، قال الحافظ ابن الصلاح:" يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون: عدلا ضابطا"[٢٤]، وقال الإمام النووي:" أجمع الجماهير من أئمة الحديث والفقه أنه يشترط فيه أن يكون عدلا ضابطا"[٢٥] .

٣– شروط المحدّث الناقد: ولخطورة النقد من حيث تعلقه بحديث رسول الله ρ ، فقد اشترط العلماء لمن يقوم بذلك مجموعة من الشروط لا بد من تحققها مجتمعة فيه حتى يعتد بكلامه، وهذه الشروط ليست سهلة التحقق، والدليل أن نقلة الأخبار عدوا بالآلاف، أما الجهابذة فهم قلة في كل طبقة، وذلك راجع لخطورة النقد أولا وللشروط الصعبة التي وضعها العلماء في النقاد ثانيا، قال الحافظ ابن حجر:" وليحذر المتكلم في هذا الفن من التساهل في الجرح والتعديل، فإنه إن عدل بغير تثبت كان كالمتثبت حكما ليس بثابت، فيخشى عليه أن يدخل في زمرة من روى حديثا وهو يظن أنه كذب، وإن جرح بغير تحرز قدم على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووسمه بميسم سوء يبقى عليه عار أبدا " [٢٦] .

وإلى جانب العلم والتقوى والورع والصدق هناك شروط أخرى وجب أن تتوفر في المحدّث الناقد ليتمكن من بيان أحوال الرواة، وهي كالتالي :

– ألا يكون مجروحا في نفسه .

---

(٢٢) ابن أبي حاتم الرازي ، المصدر نفسه، (٣٢/٢) .

(٢٣) ابن أبي حاتم الرازي ، المصدر السابق، (٣٣/٢) .

(٢٤) الحافظ ابن الصلاح ، معرفة أنواع علم الحديث (ص:٢١٢) .

(٢٥) كما في تدريب الراوي للحافظ للسيوطي (٣٠٠/١) .

(٢٦) الحافظ ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر،(ص: ٨٩) ، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

- أن يكون عارفا بأحوال الراوي وشيوخه .
- ومجانبا للهوى والعصبية والغرض الفاسد.
- وعالما بأسباب الجرح والتعديل .
- أن يتميّز باليقظة والفطنة العلمية .
- وطول البحث وكثرة التنقيب .

ثانياً: تحديد المصطلحات الخاصة التي نشأت عن الأسباب القادحة في عدالة الراوي وضبطه :

١- وبعد ما استخلصنا من أقوال المتقدمين والمتأخرين شروط الراوي، نستخلص كذلك أسباب الجرح المضعّفة أو الرادة للحديث، وأجملها فيما يلي:

- الكذب على رسول الله ρ والاتهام به .
- فحش الغلط والاصرار عليه .
- مخالفة الثقات .
- رواية الشواذ والمنكرات .
- قبول التلقين، وغيرها ...

وقد فصّلها الحافظ ابن حجر في عشرة أسباب قادحة، ورتّبها الأشدّ في القدح فما دونه، قال:" الطعن إما أن يكون لكذب الراوي أو تهمته بذلك، أو فحش غلطه، أو غفلته، أو فسقه، أو وهمه، أو جهله، أو بدعته، أو سوء حفظه " (٢٧) .

قال الحافظ:" خمسة تتعلق بالعدالة" (٢٨)، وهي: الكذب في حديث رسول الله ρ ، والاتهام به، والفسق، والجهالة، والبدعة.

وقال: "خمسة تتعلق بالضبط" (٢٩)، وهي: فحش غلط الراوي، وغفلته، ووهمه، ومخالفته، وسوء حفظه؛ هذا بالإضافة إلى دعوى الانقطاع في السند، كالمرسل والمعلق والمنقطع والمعضل.

ونشأ عن كلّ سبب من هذه الأسباب القادحة في عدالة الراوي وضبطه، وكذا ما له علاقة بدعوى الانقطاع في السند، وما له علاقة بالمروي، مصطلحات حديثية، تخص علوم الحديث رواية ودراية، والمشهورة بأنواع علوم الحديث، وهي ثمرة جهود علماء الحديث، حيث اهتموا في الفترة الممتدة من منتصف القرن الرابع إلى أوائل القرن السابع بالتأليف والتصنيف بناء على جهود السابقين التي كانت تجربة أولى في التدوين، فجمعوا ما تفرق في مؤلفات الفن الواحد، واستدركوا ما فات السابقين، ومن ثم وجدت كتب في علوم الحديث، وهي بمثابة المصادر الأساسية لهذا الفن الجليل، ومن أهمها وأشهرها: كتاب " معرفة أنواع علم الحديث"، أو ما يسمى ب:" مقدمة ابن الصلاح"، للحافظ الإمام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن الصلاح الشهرزوري (ت:٦٤٣هـ)، فهذّب فنونه وأملاه شيئاً فشيئاً، فقد جمع فيه ما تفرّق في كتب السابقين، واستوفى أنواع علوم الحديث.

---

(٢٧) الحافظ ابن حجر ، المصدر نفسه ، (ص: ٤٠).
(٢٨) الحافظ ابن حجر ، المصدر السابق ، (ص: ٤٠).
(٢٩) الحافظ ابن حجر ، المصدر السابق ، (ص: ٤٠).

ثالثاً : الضوابط الأدبية والأخلاقية في منهج المحدثين في بيان أحوال الرواة :

لا شك أن أئمة الحديث النقاد كانوا يعلنون رأيهم في الرواة ويتكلمون فيهم بدون تحرج ولا تأثم، فانتهجوا السبيل الأقوم في صيانة السنة النبوية، فجرّحوا وعدّلوا، ووثّقوا وضعّفوا، ولم يفعلوا ذلك إلا ديانة ، وذلك خشية أن يتسرب إلى هذا الدين ما ليس منه ، وقد انضبطوا في منهجهم هذا بعدة ضوابط، أذكر فيما يلي بعضها:

أ- أمانتهم ونزاهتهم في الحكم على الراوي تجريحًا وتعديلاً:

لقد تميّز هؤلاء الأئمة بالأمانة في القول والفعل، وكان هذا الخلق العلي عقيدة راسخة وقاعدة عامة يطبقونها ويسيرون عليها في بيان الحق ولو على أنفسهم، يراعون في ذلك وقوفهم بين يدي الله تعالى، قال ابن دقيق العيد:" ما تكلمت أو فعلت فعلا إلا وأعددت لذلك جوابا بين يدي الله I"[٣٠]. والحكم على الراوي تجريحا وتعديلا هو من أعظم الأمانات، قال الحافظ ابن حجر: "فليحذر المتكلم في هذا الفن من التساهل في الجرح والتعديل: فإنه إن عدل بغير تثبت كان كالمثبت حكما ليس بثابت، فيخشى عليه أن يدخل في زمرة من روى حديثا وهو يظن أنه كذب، وإن جرح بغير تحرز قدم على الطعن في مسلم بريء من ذلك ووسمه بميسم سوء يبقى عليه عاره أبدا" [٣١] ، وقال ابن دقيق العيد:" أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف عل شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون والحكام " [٣٢] .

ولهذا انضبط النقاد بالقول السديد وابتعدوا فيه عن الأغراض الفاسدة التي تخالف مقاصد مشروعية الجرح والتعديل؛ ولا يخفى أنهم أعلنوا أحكامهم صراحة حتى فيمن هم أقرب الناس إليهم، هذا علي بن المديني يقول لمن سأله عن أبيه:" سلوا عنه غيري"، فأعادوا المسألة، فأطرق ثم رفع رأسه فقال: "هو الدين إنه ضعيف"، وكان وكيع بن الجراح، لكون والده كان على بيت المال، يقرن معه آخر روى عنه، وقال زيد بن أبي أنيسة:" لا تأخذوا عن أخي المذكور بالكذب" [٣٣]، وفي هذا الباب أمثلة كثيرة تدلّ على أن المحدثين النقاد قد التزموا بالأمانة والنزاهة في الحكم على الراوي .

ب- دقتهم في البحث والتحري في الحكم على الراوي:

ومن تتبع أقوال العلماء في الجرح والتعديل، ندرك دقة بحثهم وتفتيشهم وتنقيبهم على الرواة، فنجدهم قد دقّقوا فيه أحسن تدقيق: متى ولد؟ وبأي بلد؟ وكيف هو في الدين والأمانة والمروءة والحفظ؟ ومتى شرع في الطلب؟ ومتى سمع وكيف سمع؟ وكيف كتابه؟ وهكذا توسعوا في معرفة شيوخه، روى الخطيب بسنده عن الحسن بن صالح قال:" كنا إذا أردنا أن نكتب عن الرجل سألنا عنه حتى يقال لنا أتريدون أن تزوجوه؟"[٣٤]، فنجدهم قد استعملوا الدقة في البحث حتى تكون آراؤهم في الراوي مقاربة

---

(٣٠) كما في الإعلان عن التوبيخ لمن ذم التاريخ ، للحافظ السخاوي (ص: ٦٨) ، دار الكتاب العربي، بيوت، ١٣٩٩هـ.

(٣١) الحافظ ابن حجر العسقلاني، شرح نخبة الفكر (ص: ٨٩) .

(٣٢) كما في تدريب الراوي للحافظ السيوطي، (٣٦٩/٢) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٣٣) انظر هذه الأقوال وغيرها في هذا الباب في كتاب الإعلان عن التوبيخ، للحافظ السخاوي (ص: ٦٦).

(٣٤) الخطيب البغدادي ، الكفاية ، (٩٢/١) .

للصواب. وقال ابن سيرين: "التثبت نصف العلم"[٣٥]، وسئل ابن مهدي: كيف يعرف الكذاب؟ قال: "كما يعرف الطبيبُ المجنونَ"[٣٦]، وكان الأوزاعي يقول: "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا، وما تركوا تركنا"[٣٧]، وذلك لأن الله Y قد أوجب التثبت عند تحمل الحديث وعند أدائه، فلا بد من التشدد في قبوله والتثبت في أخذه، وردّ ما غلب على الظن أنه ليس منه، لقوله Y: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**) [الحجرات :٦].

ج- التزام النقاد الأدب في التجريح: ولم يخرج هؤلاء الأئمة في أحكامهم عن قاعدة الأدب والخلق الرفيع في التجريح، وأقسى ما يروى عنهم، قولهم: وضّاع أو كذاب، أو يفتري الكذب، وقد ضبطوا ألفاظ الجرح وحدّدوا مراتبها من أخفّها إلى أسوأها: فما دلّ على التليين، وهي أسهل مراتب الجرح، مثل: فلان لين الحديث، أو فيه مقال ، إلى ما دلّ على المبالغة في الكذب، وهي أسوأ مراتب الجرح، مثل: فلان أكذب الناس، أو هو ركن الكذب، أو إليه المنتهى في الوضع [٣٨] .

وكان الإمام البخاري زائد التوقي والتثبت، بليغ التحري في ذلك أكثر ما يقول: سكتوا عنه، أو وفيه نظر، أو تركوه، وقلّ أن يستعمل الألفاظ الشديدة: ككذّاب ووضّاع .

وحكى مسلم أن أيوب السختياني ذكر رجلا فقال: "هو يزيد في الرقم" [٣٩] ، وكنّا بهذا اللفظ عن الكذب، وكان الأئمة يرشدون طلابهم بالحيطة والأدب في التجريح، ومثاله ما حكاه المزني قال: "سمعني الشافعي يوما وأنا أقول فلان كذّاب، فقال لي: يا إبراهيم أكس ألفاظك أحسنها، لا تقل كذّاب، ولكن قل حديثه ليس بشيء " [٤٠] .

كما أنهم لم يبالغوا في إفشاء أمر قادح في أحد من أهل العلم والصلاح، وإنما اكتفوا بالإشارة، لئلا يكون المذكور وقعت منه فلتة فإذا ضبطت عليه لزمه عارها أبدا، مصداقا لقوله ρ :" أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود" [٤١] ، كما أنهم تجنّبوا التعرض للوقائع المنقصة الصادرة في شيبوبة من صيّره الله تعالى بعد ذلك مقتدى به، وما أحسن قول سعيد بن المسيب أنه ليس من شريف ولا عالم، ولا ذي فضل، يعني من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا وفيهم عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبهم، فمن كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله .

الخاتمة

(٣٥) الخطيب البغدادي ، نفسه ، (١/١٦٦) .

(٣٦) شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١/٣٣١) .

(٣٧) ابن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل (٢/٢١) .

(٣٨) انظر هذه المراتب بالتفصيل في المؤلفات التي اعتنت بمصطلح الحديث ، مثل كتاب معرفة أنواع علم الحديث للحافظ ابن الصلاح (ص:٢٤٤-٢٤٦) .

(٣٩) مقدمة صحيح مسلم (١/٢١) .

(٤٠) كما في فتح المغيث للحافظ السخاوي (١/٣٤٥) .

(٤١) أخرجه أبو داود في سننه (ح:٤٣٧٥، ٤/١٣٣) وسكت عنه، وصححّه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣٧٥).

وفي الجملة نكون قد وقفنا على حقائق ونتائج طيبة فيما يتعلّق بالمنهج العلمي الذي سار عليه أئمة الحديث في التصدّي للروايات الضعيفة والواهية، ولا شكّ أن لبنته الأولى مات جاء في كتاب الله وسنة رسوله ρ ، قال الله تعالى:" **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** [الحجرات: ٦] ، وقوله ρ " من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار" [٤٢] ، وموقف أبي بكر وعمر في التثبت من الرواية، فهما أوّل من فتّشا عن الرجال في الرواية، وبعثا على النقل في الأخبار، ثم تبعهم الناس على ذلك.

وإن الله Y قيّض لهذه الأمة جهابذة أمناء ومخلصين قاوموا الوضّاعين، وميّزوا صحيح الأخبار من ضعيفها، وجيّدها من زائفها، وبذلوا في ذلك جهدا لا مزيد عليه، وأن السبيل الذي سلكوه هو أقوم السبل العلمية للنقد والتمحيص، حتى نكاد نجزم أن علماءنا رحمه الله تعالى هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها.

فتبيّن أن أئمة الحديث لم يكونوا يخبطون خبط عشواء في أخطر أمر هو الكلام في الرواة تجريحا وتعديلا، بل إنهم رسموا الخطة، وحددّوا المنهج، ثم ساروا بخطى ثابتة وهادفة، مجانبين كلّ ما هو مخالف للأصول والقواعد العامة التي قررتها الشريعة والإسلامية، فأدركوا الغاية من وجهها الصحيح المتمثّل في صيانة السنة النبوية، وتنقيتها من كل تحريف وتزييف.

والذي ينبغي أن نشير إليه هو تلك الجهود التي تميّزت بالتواصل بين الأجيال في مواجهة الروايات الضعيفة والمتروكة، سواء بالرواية أو التأليف والتصنيف، وهذا ما يحفّزنا أكثر فأكثر لكي نتحرى الروايات الصحيحة كلما استشهدنا بأحاديث النبي ρ في تواصلنا مع مجتمعاتنا في قضايا الساعة، وتبصير الناس بما صحّ عن رسول الله ρ من السنن والأحكام والفضائل، فيما ينفعهم في الدنيا والآخرة، والفهم الفهم في عواقب ما ينشر ويبث من الروايات الضعيفة والواهية، ومرارة ما يترتب على ذلك على أجيال هذه الأمة التي اختارها الله عز وجل لتكون رائدة الأمم، قال تعالى: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)** [آل عمران ١١٠].

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل

والحمد لله رب العالمين

فهرسة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم ، برواية ورش.
- أسباب اختلاف المحدثين، خلدون الأحدب، الدار السعودية ، ط١، ١٩٨٥.
- الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٢٨هـ.
- الإعلان عن التوبيخ لمن ذم التاريخ ، للحافظ السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

(٤٢) متفق عليه، البخاري (ح:١٠٧، ٥٢/١)، ومسلم (ح:٢، ١٠/١) .

- تدريب الراوي للحافظ للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.
- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٥هـ
- الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٢م.
- دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، تحقيق حسين الجمل، شركة الشهاب الجزائر.
- سنن أبي داود السجستاني، دار الحديث ، القاهرة.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمي، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.
- صحيح الإمام البخاري ، دار الفكر بيروت.
- صحيح الإمام مسلم ، دار الفكر، بيروت.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد والرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، تحقيق أبو عبد الله السورقي، المكتبة العلمي، المدينة المنورة.
- المجروحين، ابن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ، حلب .
- مختار الصحاح .
- معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح ، تحقيق عبد اللطيف الهيثم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- الموطأ ، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.